

المحاضرة الثانية

تاريخ الفكر اللساني 2

عند العرب

الدراسات اللغوية عند العرب :

يتفق معظم الدارسين على أنّ العرب في الجاهلية كانوا يتكلمون لغتهم بالسليقة ، و لم يكونوا بحاجة إلى قواعد نحوية .

لكن عند مجيء الإسلام و نزول القرآن الكريم في المستوى الأعلى من البلاغة و الفصاحة اعتنى العرب بلغتهم أكثر بدافع حرصهم على دينهم ، فقد قامت الدراسات اللغوية عند العرب حول القرآن الكريم بهدف صونه و صون اللغة العربية من التحريف ، لأنها الوسيلة الوحيدة إلى فهمه و استنباط الأحكام الدينية و الدنيوية منه .

و ظهرت هذه العناية باللغة منذ القرن الأول الهجري عندما طلب " الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه " من أبي أسود الدؤلي أن ينقط و يضبط الكلمات في المصحف الشريف . الذي طوره " الخليل بن أحمد الفراهيدي " فيما بعد إلى التشكيل المعروف عندنا الآن . ثم ظهرت تلك العناية في اسهامات علماء النحاة ، البلاغيين ، اللسانيين ، الدالاليين ... إلخ (من خلال مؤلفاتهم) ، و يمكن ذكر أهمها و ايجازها فيمايلي :

أولاً : علم النحو:

كان النحو من أوائل الجوانب التي حظيت بالاهتمام في مجال الدراسات اللغوية و كان القرآن الكريم صاحب الفضل في نشأة الدراسات النحوية في التراث العربي لخشية العلماء المسلمون عليه (القرآن الكريم) من اللحن أو التحريف خاصة بعد أن تعددت ألسن الداخلين و اختلطت و تفشت ظاهرة اللحن.

و قد مرّت هذه الدراسات النحوية بمراحل أهمها :

— **المرحلة التمهيدية:** و كانت مرتبطة بالقرآن الكريم لضبط تلاوته ضبطاً نحوياً صحيحاً لأن الخطأ النحوي قد يُغيّر من مدلول الآيات حتى يصل بذلك إلى المحذور ، مثال ذلك ما ورد من قراءة بعض القراء: " إن الله بريء من المشركين و رسوله " بكسر لام رسوله بدلاً من رفعها.

و يعد أبو أسوء الدُّولي عالم هذه المرحلة ، و كان ذلك عندما قام بضبط المصحف الشريف و وضع ما يسمى بنقاط الاعراب على أواخر الكلم لبيان وظيفتها النحوية .

1 - المرحلة الأولى: تتمثل في جمع المعطيات اللغوية و فحصها .

2 - المرحلة الثانية: هي مرحلة التصنيف و التبويب ، فقد كانت المعطيات اللغوية قد جمعت في كثير من الأحيان بطريقة عشوائية ، فتم جمعها و تنظيمها في رسائل حسب الموضوعات كرسائل خاصة بالنحو ، رسائل خاصة بألفاظ غريب القرآن الكريم ، رسائل خاصة بألفاظ غريب الأحاديث النبوية الشريفة، رسائل خاصة بأعضاء جسم الإنسان، و رسائل خاصة بالإبل.... إلخ. و كانت هذه الرسائل كبوادر و سبب لظهور المعاجم .

3 - المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقراء و المقارنة و استنباط القواعد التي تحكم اللغة العربية.

4 - المرحلة الرابعة: تتمثل في مرحلة الاستقلالية ، فكل علم يبدأ عاما شاملا ثم يتجه نحو التخصص ، هذا ما حدث بالنسبة للدراسات اللغوية العربية ، فأصبح كل اكتشاف يتسم بصفة العلمية ، بحيث توصل علماء العرب إلى تأليف كتب في شتى العلوم ، ككتب في علم النحو و علم الصرف ... إلخ .

و يعد سيبويه المقنن الأول للنحو العربي من خلال كتابه "الكتاب" الذي كان سببا في بلوغ النحو العربي ذروته ، كما يعتبر الخليل بن أحمد الفراهيدي من أشهر نحاة العرب الذي تناول عدة مسائل تتعلق بالنحو و الصرف و الصوتيات ... إلخ و يظهر ذلك جليا في كتابه القيم "العين" ازداد التعمق في الدراسات النحوية ، و حدث الخلاف في وجهات النظر، فظهر ما يسمى بالمدارس النحوية و كان على رأسها "مدرسة البصرة" ، التي تميزت بالاصرار على الاعتماد على ما جاء على ألسنة عرب البوادي دون الحواضر، و عدم الأخذ بالشواذ من الشواهد الفردية . ثم انشقت عنها مدرسة الكوفة و اختلفت عنها في المنهج فقبلت الشاذ و قاست عليه ، كما اعتدت بكل كلام العرب سواء كان من بدو الصحراء أو من الحواضر . و قد عرفت مدرسة البصرة بتفوقها على مدرسة الكوفة في المسائل النحوية خاصة فيما يتعلق بدقة المصطلحات .

و قد شهد القرن الرابع الهجري ظهور مجموعة من الكتب النحوية مثل : كتاب "الموجز في النحو" لابن سراج ، وكتاب " اللمع " لابن جني ، و كتاب "الإيضاح" لأبي علي الفارسي ، وغيرها من الكتب التي لا تحصى .

من خلال ما تقدم يظهر لنا بأن الدراسات النحوية العربية بلغت درجة علمية بليغة .

ثانيا : علم الأصوات :

إن أول من فكر و كتب في علم الأصوات هو الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه "العين" اعتمد فيه على مخارج الأصوات من أعرق نقطة في الحلق مروراً بحركات اللسان حتى أطراف الشفتين ، و اكتشف بأن أول حرف هو العين و آخرها هو الميم .
جاء سيبويه فالتقط أفكار الخليل و طورها ليحولها فصلاً كاملاً في مؤلفه الضخم "الكتاب" و هو الفصل الرابع و الأخير في باب الإدغام ، ناقش فيه مسائل الأصوات .
و يعتبر ابن جني صاحب أول مؤلف كامل خاص بعلم الأصوات المعنون بـ " سر صناعة الإعراب" .

ثالثا : علم الدلالة :

تكفلت بدراسة الجانب الدلالي كتب الثروة اللغوية أو المعجمات الموضوعية و المعجمات العامة يضاف إلى ذلك كتب البلاغة ، خاصة علم البيان الذي يعنى ببيان دلالة الألفاظ و محاولة البحث عن العلاقة بين المعنى الأصلي و المجازي لبيان نوعها .

رابعا : علم الصرف :

ظل الصرف إلى فترة طويلة من نشأة الدراسات اللغوية يدرس في كتب النحو (كما تم ذكره أعلاه) و انفصل عنها بعد ذلك و استقل بكتبه التي كانت تقتصر على مسأله .

للاستفادة أكثر أنظروا من فضلكم المراجع التالية :

- محمد علي الرديني ، فصول في علم اللغة العام ، دار الهدى ، الجزائر ، 2009 .
- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1990 .
- جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، 2008 .